

المحاضرة الثانية: تطور الفكر التجاري (المركنتلي)

تمهيد: انتشرت الرأسمالية التجارية أو ما يسمى بـ " المركنتيلية " في أوروبا (فرنسا، اسبانيا، البرتغال، هولندا، بلجيكا وبريطانيا) في الفترة الممتدة ما بين سنوات 1500 م – 1750 م لتنتهي مع بداية الثورة الصناعية وصدر كتاب " ثروة الأمم " لـ: آدم سميث، 1776 م (1).

التعريف الفكر التجاري: هو مذهب اقتصادي، ظهر أواخر القرن 14 م، وساد إلى غاية النصف الثاني من القرن 18م، ويسمى أيضا بالفكر المركنتلي، والتي اشتقت من كلمة Merchant الانجليزية وتعني التاجر، أما إصطلاحا فهي المذهب الذي يعطي أهمية كبيرة للمعتدّن النفيسة " الذهب والفضة"، وتعتبر هذه المعادن أساس ثروة الامة ومنتج لقوتها.

نشأة الفكر المركنتلي: شهدت أوروبّا نهاية القرن 14م وبداية القرن 15م تحرر العبيد من سيطرة النظام الاقطاعي، واتجه معظم المتحررين إلى للعمل في التجارة، إلا أن العمل في التجارة الداخلية ورغم المكاسب التي يحققها فهي ليست بالكبيرة مقارنة بما تحققة التجارة الخارجية (التجارة الدولية)؛ التي وفرت لهؤلاء التجار المكانة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في بلدانهم، إن التجار الذين امتهنوا التجارة الخارجية شكلوا طبقة اجتماعية ثرية وراقية لهم قرارات مسموعة لدى الملك،

ومن بين الاسباب التي ساعدت هؤلاء التجار في تحقيق مكاسب كبيرة، وتطورت معها التجارة الدولية هي:

- 1- اتصال أوروبا بالشرق الإسلامي المتطور حينها.
- 2- اكتشاف طرق مواصلات بحرية جديدة مثل طريق رأس الرجاء الصالح.
- 3- اكتشاف القارة الامريكية الغنية بالذهب، والتي زادت من ثراء التجار الاوروبيين.

ومن أجل القضاء النهائي على سلطة الاقطاعيين تحالف الملوك مع التجار، وتم فرض سلطة مركزية في كل دولة، وبهذا نشأة الدول الاوربية الحديثة، والتي كان لها الاثر البالغ في سياسة الفكر التجاري، إذ قام التجار بالاتفاق مع الملوك برسم سياسة التجارة الخارجية على مستوى كل اقتصاد قومي، بما يخدم مصالحهم القومية ويحقق لهم أكبر ربح وأكثر ثراء. فالاهتمام كان بالمصلحة القومية التي كان لابد من توسيع رقعتها من خلال البحث عن مستعمرات وعدم السماح لأي دولة باستغلال موارد مستعمراتها.

مبادئ الفكر التجاري: المبادئ التي تبناها المفكرين والفلاسفة التجاريين نوجزها في ما يلي:

- 1- تقاس ثروة الأمة بما تملكه من معادن نفيسة ذهب وفضة.
- 2- ضرورة تحقيق فائض في الميزات التجاري.
- 3- تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية.

1- جالبرايت جون كنيث، " تاريخ الفكر الاقتصادي"، ترجمة أحمد فؤاد بليغ، عالم المعرفة، الكويت، 2000، ص: 45.

4- ترتيب أوجه النشاط الاقتصادي.

5- زيادة حجم السكان.

السياسات المتبعة في الفكر التجاري:

1- سياسة إحتكار الدولة للتجارة الخارجية: من أهم الاساليب الرئيسية التي ابتدعها التجاريون للسيطرة على التجارة الخارجية، تنظيم احتكار الدولة للتجارة الخارجية ؛ حيث قامت بمنع الأجانب من ممارسة التجارة الخارجية في سلع معينة أو في مناطق معينة، كما قامت بتنظيم وإدارة الصادرات الوطنية بطرق مباشرة.

2- سياسة الاستيراد: حارب التجاريون دخول الواردات على إعتبار أنها تتسبب في تسريب المعادن النفيسة. فإتبع أسلوب فرض الضرائب والرسوم الجمركية المرتفعة والمنع المباشر للسلع، أما فيما يتعلق بالمواد الأولية التي لا تمتلكها الدولة وضرورية للاستيراد فكانت قوانين الاستيراد مرنة، فهي تسمح بارتفاع كمية الصادرات التي ترفع من قيمة المعادن النفيسة وبالتالي زراة ثروة الدولة.

3- سياسة التصدير: شجع التجاريون الصادرات من السلع المصنوعة، بكافة الوسائل الممكنة مثل تقديم الاعانات، تخفيض الضرائب والعمل على اكتساب أسواق خارجية جديدة؛ خاصة البلدان المكتشفة حديثا والغنية بالمعادن النفيسة.

4- سياسة الاجور المنخفضة: لقد تنبه التجاريون إلى أهمية خفض تكاليف الانتاج للصادرات، ولأن الفكر السائد أن تكاليف العمل تحدد قيمة السلعة، لهذا دعوا إلى سياسة تخفيض الأجور حتى تبقى تكاليف الإنتاج منخفضة، كما اعتقدوا أن الاجور المنخفضة من شأنها أن تشجع العمال لبذل جهد أكبر لمضاعفة أجورهم، كما اعتقد الماركنتليون أن الاجور المرتفعة توجه لاشباع الاحتياجات والرغبات الاستهلاكية للطبقة العاملة، ولا يؤثر في حجم الاستثمارات.

سلبيات المذهب التجاري:

1- إهمال الفرد ورفاهيته.

2- تعطيل سير التجارة الدولية بالتدخلات الدائمة للدولة.

3- عدم القدرة على المحافظة على الميزان التجاري دائما موجب.

4- استعمال بشع لموارد الشعوب المستعمرة.

5- ارتفاع الاسعار.

6- إهمال الزراعة والتجارة الداخلية.

7- التشجيع على النمو السكاني دون مراعاة ما يترتب عن ذلك.

